القروض الصغيرة كأداة للتمكين

القروض الصغيرة
كأداة للتمكين

نبيل أحمد الشامي

(إن الحل الدائم لمشكلتي الفقر والبطالة ليس بتقديم الطعام ولكن بتمكين الفرد الفقير من إعالة نفسه وأسرته).

مما لا شك فيه أن لمحدود الدخل وللفرد الفقير طاقات وقدرات لا تستثمر رغم أن هذه الطاقات والقدرات تمثل القاعدة الأساسية على المدى البعيد لحل مشكلتي الفقر والبطالة.

لقد تأكد في العديد من دول العالم وفي مصر أن القروض الصغيرة ومتناهية الصغر هي المدخل الواعد والعملي لتمكين ولمساعدة أصحاب الدخل المحدود في تحسين مستوى معيشتهم وفي المساهمة بشكل إيجابي في خلق فرص عمل جديدة. ومن أساسيات التنمية الحقيقية لهذه الشريحة الاعتماد على أهم مصدر لمحاربة الفقر والبطالة وهو طاقات وقدرات أصحاب الدخل المحدود أنفسهم فقد فشلت السياسات الاجتماعية والخيرية في الماضي في ترويض هذه الطاقات والقدرات من خلال إدماج الفقراء وأصحاب الدخل المحدود في برامج تحقق الاكتفاء الذاتي وتخلق روح ومفهوم الاستقلالية والاعتماد على النفس.

لقد ثبت من كافة الدراسات التي أجريت في مصر أن قطاع المنشآت الصغيرة والحرفية هو أكبر مستخدم للعمالة حيث أن ما يقرب من ثلثي قوة العمل الحالية تعمل في المنشآت التي يعمل بها عشرة عمال فأقل مما يستوجب الاهتمام وتمكين هذا القطاع الهام لقدرته على خلق المزيد من فرص العمل.

ومن أهم الطرق الواعدة لخلق المزيد من فرص العمل هو تشجيع التشغيل الذاتي من خلال مشروعات متناهية الصغر باستغلال طاقات وقدرات أصحاب الدخل المحدود ودفعهم للعمل بدلا من الاعتماد على ما يقدم لهم من إعانات أو مساعدات تضرهم وتسيء إليهم نتيجة إكسابهم عادة الاعتماد على الغير وذلك بتقديم القروض الصغيرة لتمكينهم من العمل وخلق فرص عمل لغيرهـــم.

وقد يتبادر إلى ذهن الكثيرين أن هذه القروض تقدم بلا مقابل أي دون تحميل المقترض أية مصاريف أو فوائد ولكن الحقيقة أن التجربة أثبتت أن محدود الدخل قادر على استيعاب هذه القروض والاستفادة منها وتشغيلها وقادر على سدادها بما في ذلك الفوائد والمصاريف.

وللرد على السؤال التالي:

هل يستطيع الفقير أن يسدد الفائدة المناسبة على القروض الصغيرة؟؟

فإن هذا الموضوع يمثل مسألة حساسة جدا لأن السياسيين مغرمون بالدفاع عن الفقير والإصرار على أن أسعار الفائدة المحملة على القروض يجب أن تكون مدعمة ومنخفضة.

ومن المعروف أن القروض المدعمة من النادر وصولها إلى المستحقين الذين دعمت هذه القروض من أجلهم... وفي العديد من الدول فإن الحكومات تضع حدا أقصى لأسعار الفائدة على القروض الصغيرة اعتقادا منها (وهو اعتقاد خاطئ) أن ذلك يساعد الفقير.

وفي الحقيقة إن ما يحدث هو العكس تماما وتكون النتيجة في النهاية هي حرمان الفقير من الحصول على قروض صغيرة حيث تذهب غالبيتها إلى غير المستحقين ممن لهم اتصالات ونفوذ.

إن غالبية الجمعيات الأهلية والمؤسسات المالية العاملة في مجال الإقراض متناهي الصغر بتقديم قروض صغيرة للفقراء دون دعم وبأسعار حقيقية يتعرضون دائما إلى اتهامات من السياسيين والبيروقراطيين بل والمثقفين بأنهم يستغلون الفقراء.. بينما الفقير نفسه لا يهتم بقضية الفائدة!! وينحصر اهتمامه أساسا في الحصول على القرض في الوقت المناسب وبأيسر الطرق دون أية إجراءات أوتعقيدات بيروقراطية والدليل على ذلك هو ارتفاع معدل استرداد القروض الصغيرة حيث تصل إلى ما يقرب أو يزيد عن ٩٩%.

إن القروض الصغيرة ومتناهية الصغر قادرة على تحقيق تمكين الفقير وتنميته والتنمية يجب أن تبدأ من الفقراء أنفسهم وبأفكارهم هم وأن تبنى على طاقاتهم وقدراتهم وأوقاتهم الغير مستغلة.

ومن خلال خبرتي في هذا المجال الذي امتد ما يقرب من عشرين عاما فإنني أستطيع أن أوضح فيما بعد بعض البرامج الناجحة التي تمت في مصر.

أولا: الإقراض الصغير و متناهي الصغر:

هذا البرنامج موجه لخدمة أصحاب المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر القائمة والتي يعمل بها من عامل واحد وحتى ١٥ عامل وذلك من خلال تقديم سلسلة متصلة من القروض الفردية لتمويل رأس المال العامل أولا ثم تمويل الأصول الثابتة لمن يرغب وتتراوح فترات السداد ما بين ٤ شهور وحتى ١٢ شهرا لتمويل رأس المال العامل وحتى ٢٤ شهرا في حالة تمويل الأصول الثابتة.

كما يقدم البرنامج خدمات غير مالية تتمثل في التدريب على بعض النواحي الفنية والنواحي الإدارية في مجالات مسك الحسابات والتكاليف والتعامل مع الضرائب والتأمينات والرخص وكذلك المعاونة في التسويق من خلال المعارض ومنافذ البيع.

ثانيـــاً: إقراض المرأة المعيلة:

هذا البرنامج موجه لمساعدة المرأة الفقيرة للبدء في نشاط خاص جديد أو للتوسع في نشاط قائم ويعتمد على نظام الإقراض الجماعي (كل مجموعة مكونة من خمس سيدات) ويمزج البرنامج ما بين الخدمات المالية والخدمات الاجتماعية المتمثلة في اجتماعات شهرية للتوعية والتدريب في مجالات: النظافة العامة والشخصية – الصحة الأسرية – منع التلوث والمحافظة على البيئة– الإسعافات الأولية – محو الأمية – علاوة على المعاونة على استخراج بطاقات الهوية الشخصية للمرأة.

ثالثًا: برنامج الخير لمن يعمل: (منح نقدية لا ترد للعاطلين الراغبين في بدء نشاط خاص):

هذا البرنامج هو برنامج خيري يقوم بتقديم منح مشروطة للعاطلين عن العمل من النساء والرجال لاستخدامها في بدء نشاط خاص والهدف هو استغلال طاقة وقدرة الفقير الذي لا يجد عملا و تشجيع وتفعيل التشغيل الذاتي حيث يتبع البرنامج الأسلوب التالي في تنفيذه.

- **يتم اختيار المستفيد من الأحياء الفقيرة بالإسكندرية بواسطة الأخصائيين بالجمعية التي تنفذ البرنامج.**
- **يسأل الفرد المرشح لتلقي المنحة عن النشاط الذي يستطيع أن يقوم به إذا توفر لديه مبلغ محدد من المال فإذا كانت الإجابة بفكرة عن نشاط يمكنه تنفيذه (بيع فاكهة أو خضروات – مسح أحذية – بيع مشروبات – صنع مربات أو مخللات بالمنزل – أو أي نشاط آخر مدر للدخل) يمنح الدفعة الأولى من المنحة و بشرط أن يعمل في المكان الذي يحدده لمدة ثماني ساعات يوميا على الأقل ولمدة ثلاثة أشهر متتالية.... والهدف إكساب المتلقي أو المتلقية عادة العمل والتكسب منه.**
- **تتم مراقبة متلقي المنحة خلال هذه الشهور الثلاثة وفي حالة استمرار النشاط تصرف الدفعة الثانية من المنحة.**

والبرنامج لا يتابع أي سدادات لأقساط كبرامج الإقراض ولكن يتابع مداومة المستفيد على العمل حتى يكتسب عادة العمل وتحقيق دخل يعيش منه.

ويمكن للمستمرين في النشاط الحصول على قروض من البرنامجين السابقين.

وبالتالي يتم تحويل هذا العاطل الفقير سواء كان رجلا أو امرأة إلى طاقة منتجة تستطيع أن تعمل وتتكسب وتعول أسرتها.

وكما كان برنامج بنك جرامين في بنجلاديش والذي حصل على جائزة نوبل مؤخرا مع مؤسسه رئيس البنك الدكتور محمد يونس هو الرائد عالميا في مجال الإقراض الصغير والتنمية فقد كانت مصر أيضا الرائدة للدول العربية حيث قدمت خبراتها في مجال الإقراض الصغير ومتناهي الصغر لغالبية الدول العربية مثل الأردن ولبنان وفلسطين والبحرين واليمن والمغرب وتونس وكذلك للعديد من دول القارة الإفريقية وكذلك بعض دول أوروبا الشرقية.

إن وصول القروض الصغيرة إلى أفقر الفقراء تمكنهم من التدرج وإلى الوصول إلى أوضاع إقتصادية واجتماعية أفضل.

حقا إن أهم مصدر لمحاربة الفقر والبطالة هو تقديم القروض الصغيرة ومتناهية الصغر لتساعد على استغلال طاقات وقدرات أصحاب الدخل المحدود أنفسهم من خلال برامج تنمية تستثمر هذه القدرات والطاقات للوصول بأفقر الفقراء إلى أوضاع اقتصادية واجتماعية أفضل وليس من خلال تقديم المنح والمعونات.

التمويل متناهي الصغر والتمكين

آن ترينولون وزووي أسكارزوى

تم تعريف التمويل متناهي الصغر بأنه آلية غاية في الأهمية لمكافحة الفقر عالمياً. فقد أثبت التمويل متناهي الصغر لأكثر من ثلاثة عقود نجاحاً في توليد حلول طويلة الأمد في مجال التوظيف الذاتي في مناطق ذات معدلات فقر عالية. فعندما يعيش الناس في مجتمعات لا تعرف إلا سوء التغذية، ومساكن دون المستوى، ونقص التعليم والرعاية الصحية، لا يمكنهم تخيل إمكانية وجود حياة أفضل لهم ولأسرهم.

وتؤمن مؤسسة مساعدات المجتمع الدولي FINCA بأن التمويل متناهي الصغر من أكثر أدوات التنمية فعالية لتمويل مشروعات للنساء الفقيرات وقدراتهن القيادية في إرجاء العالم، مع العمل على تشجيع مجتمع يمتاز بقدر أكبر من المساواة والتعددية. ومن خلال آلية توفير إمكانية الحصول على الموارد المالية والتي لم تكن عادة متاحة لهن في الماضي، فإن الائتمانات متناهية الصغر ليست الأداة الوحيدة لإتاحة نظام الاعتمادات المالية للفقراء، وإن كان من أكثر النتائج الجانبية فائدة عملية دمج هؤلاء الأفراد في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع.

ويتيح التمويل متناهي الصغر الفرصة الفريدة لتشجيع النساء الفقيرات على الشروع في العمل من خلال السماح لهن بخلق وظائفهن بأنفسهن. ومن هنا تتمكن النساء من الحصول على التمكين مع تطوير مهاراتهن القيادية والعملية.

تعمل النساء المقرضات في النظام المصرفي بالمجموعة أو القرية بالتعاون مع مؤسسات التمويل متناهي الصغر، وتتعلم النساء كيفية إدارة الأصول وبنائها، وكيفية اتخاذ القرارات الجماعية. وقد أوضحت الدراسات أن النساء اللاتي تنشغلن بهذه الأنشطة يرجح اشتراكهن في العملية السياسية. كما توضح الأدلة أن عميلات التمويل متناهي الصغر أقل مخاطرة مقارنة بنظيراتهن من الرجال، كما أنهن ينفقن كما أكبر من دخولهن على أطفالهن، وتتعاونّ بشكل أكثر فعالية من الرجال. ويعتبر التعاون الاجتماعي من الدوافع الرئيسية لنجاح التمويل متناهي الصغر حيث أن عادة ما يتم إصدار القرض من خلال مجموعات إقراض متبادلة المسئولية يتم إدارتها بشكل ديمقراطي. وليست الفائدة الحقيقية من التمويل متناهي الصغر ما يمكن حسابه أو عده، وإنما الفائدة الحقيقية هي تجليات التحول الاجتماعي التي تتكشف – وأهمها التمكين.

إن قضية التمويل متناهي الصغر والتمكين هي كيف يبدأ المرء في تقدير حجـــم أو كـــم التمكين.